تراث سامراء

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تعنى بدراسة
تراث سامراء المشرفة

تصدر عن

العتبة العسكرية المقدسة

مركز تراث سامراء

العدد الثاني- السنة الأولى
(٢٠٢٠م - ١٤٤٢هـ)

المناظرات النَّحويّة في سامرّاء

Grammatical debates in Samarra

م.د. عصام عدنان رحيم الياسري

جامعة القادسية

كلية التربية

Lec. Dr. Esaam Adnaan raheem Alyasri

University of AL-Qadisiyah

facuity of Education

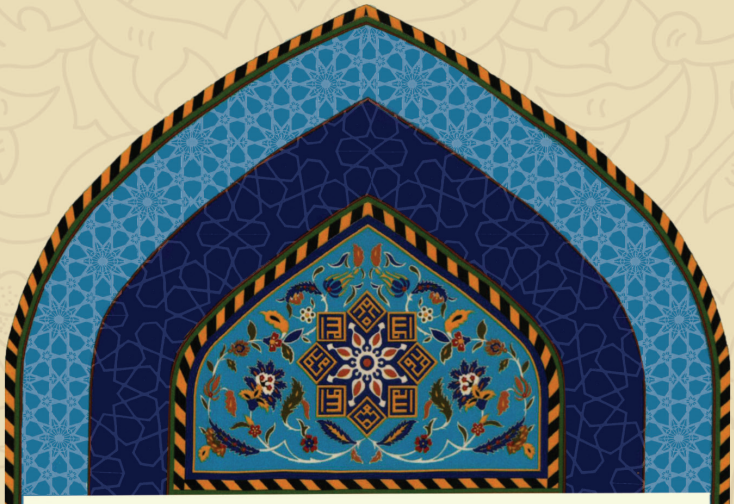

المناظرات النَّحويّة في سامرّاء

الملخص:

يهتم البحث بالكشف عمّا دار في مجالس سامراء من مناظرات نحوية بطلب من الخلفاء في كثير منها، والبحث عن الحقائق النّحوية العلميّة التي كان أصحابها يتبنونها، ويدافعون عنها وكذلك يُسلّط الضوء على ما دار بين الخلفاء والنّحويين من حالٍ اقتضى في بعض الأحيان من استقدام نحويٍّ من موطنه إلى مركز الخلافة، ويسعى أيضاً إلى طرح الأسئلة التي من شأنها أنْ تبيّن لنا مدى الموضوعية في تلك المناظرات، وما قدّمه كلُّ نحويّ من حججٍ أو تبناه من طرح الأسئلة على نظيره، والانتهاء فيه إلى أهمية ما حصل في عاصمة الدولة الإسلامية آنذاك ممّا وُظِّفَ من مسائل النّحو في تلك المناظرات.

الكلمات المفتاحية:

المناظرات، الاحتجاج، النّحو / النّحاة، التناظر، الخلاف.

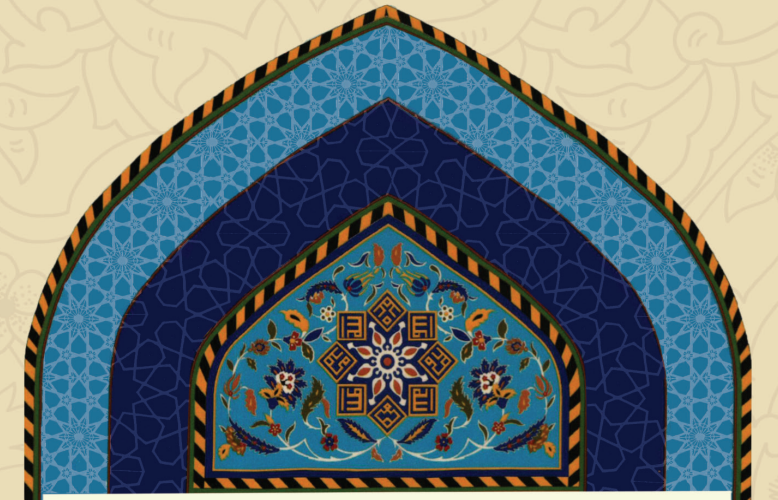

Grammatical Debates in Samarra

Abstract:

The research is interested in revealing the grammatical debates that took place in the councils of Samarra at the request of the caliphs in many of them, and searching for scientific grammatical facts that their owners were adopting, and defending them, as well as shedding light on what happened between the caliphs and the grammatists from a situation that sometimes required the introduction of grammar from his home to the center of the caliphate. It also seeks to ask questions that would show us the extent of objectivity in these debates, and the arguments presented by each grammatical or adopted by asking questions to his counterpart, and ending in it to the importance of what happened in the capital of the Islamic State at that time, which was used of the issues Grammar in these debates.

key words:

the protest , grammar grammarians, disagreement , symmetry.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

المُقدِّمةُ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على خير خلقه وأنبيائه محمّد (صلى الله عليه وعلى آله أجمعين)، وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعدُ

ما زالت المناظرات والاحتجاج النّحويّ مصدراً من مصادر الدرس النّحوي، ومادة ثرّة تكشف عن كثير ممّا يتعلّق بالفكر النّحويّ للمتناظرين، وكذلك تعكس أجواء العلم التي كانت سائدة في كلِّ عصر، وتُعين على فهم حدود المنافسة بين العلماء، ولعلّ في مادتها ما يزيد من إفادتها والانتفاع بها في مسائل الدرس النّحوي، وقد يزيدنا انتفاعاً بها إذا علمنا أنّ مِن بين المتناظرين من انتهتْ إليه رئاسة المدرستين، كالمازنيّ، والمبرّد، وابن السِّكّيت وثعلب، فحين كنت أفتش عن مسألة نحوية في كتاب (طبقات النّحويين واللغويين، لأبي بكرٍ الزبيدي) وجدتُه ينقل كثيراً من احتجاج النّحاة ومناظراتهم في سامراء، ورأيتُ أنّ أكثرها كان بطلب من الخلفاء، أو وزرائهم وعمّالهم، و مُذّاك شغلتني فكرة البحث عن تلك المناظرات، ودراستها ضمن ميدان الدرس النّحوي في محاولة متواضعة للكشف عن مادتها والمشاركين في كل مناظرة، ومحاولة الإبانة عمّا يتعلّق بها ولاسيّما ما كان منها في حضرة الخلفاء في مدينة سامراء، واعتمدتُ في هذه المحاولة على انتقاء أكثر المناظرات شهرة وما اختصت بأعلام الدرس النّحويّ ممثلة بالمدرستين البصريّة والكوفيّة؛ ولذلك فقد كان منهجي في هذا البحث قائماً على تخيّر المناظرات، وتحليل مادتها، والإشارة إلى مناسبتها وما كان محيطاً بها من جوّ علمي مليءٍ بروح المنافسة، فاخترتُ أنْ يكون عنوان البحث (**المناظرات والاحتجاج النَّحويّ في سامراء**)، فكان ميداناً لبحث ما يتساوى فيه التناظر وما يساق من حجج لتقوية آراء المتناظرين، والانتصار لمذاهبهم أو لمواقف ممّا كان الخلفاء يوجّهونه إليهم من أسئلة يتبارون فيها لنيل الانتصار والغلبة، واقتضى البحث أنْ يتوزّع على مبحثين كان أوّلُهما موسوماً بـ (**المناظرات في سامراء النشأة والأنواع**) تناولت فيه بشكلٍ موجزٍ ظهور المناظرات في سامراء بوصفها فناً وعلماً وتعرضتُ لأشهر أنواعها بشكل مقتضب جداً، وثانيهما (**مناظرات النحويّين في سامراء**)، وفيه عرضتُ لأكثر المناظرات شهرةً بين أعلام المدرستين، ثُمَّ شفعتُ ذلك بخاتمة

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

ضمّنتُها أبرز ما توصلتُ إليه من نتائج.

وختاماً أرجو ألّا أكون قد جانبتُ الصواب أو حُدتُ عنه، والله المستعانُ أوّلاً و آخراً.

المبحث الأوّل

المناظرات في سامراء ـ النشأة والأنواع ـ

لم تكن الحياة الأدبية في سامراء بمعزل عنها عند العرب ابتداءً بما كانت عليه في عصر ما قبل الإسلام مروراً بانتقال الخلافة إلى سامراء، إذ لا يوجد فاصل زماني يفصل بينها غير أنّها تأثرتْ حالها حال أيّ علم من العلوم بمراحل التطور التي تقتضيها مراحل كل علم منها، و كذلك تنوعت المناظرات بحسب العلمِ الذي تناظروا فيه، فاتخذ أربابُ العلوم الجدل والإقناع سبيلاً لإبطال حجة من يناظرون، وتقوية حججهم ودلائلهم في إثبات ما يذهبون إليه من رأي وما يعتنقونه من مذهب؛ ولذلك سأجتهد في تحرّي ما مرّت به المناظرات والجدل، والصور التي اتخذتها في العلوم التي كانت سائدة في سامراء، وللاطلاع على كلِّ ذلك سأمرُّ بمجالس العلم أيام الخلافة في سامراء وتنوعها، وخصائص تلك المجالس وما انتفعت به تلك العلوم من وجوه الاحتجاج والمناظرات، ونمرُّ ببعض أنواع المناظرات وننتقي من بينها ما كان أكثرها شهرةً في سُرَّ مَن رأى.

١. مجالس العلم والعلماء في سامراء

اشتهرت مجالس الخلفاء في سُرَّ مَن رأى أنّها كانت تحفلُ بكل صنوف العلماء، إذ اتخذهم الخلفاءُ نُدماءَ لهم وصيّروهم أخلّاءَ يشيرون عليهم، ويحاورونهم ويختلون بهم ليعرفوا آراءهم ومكامن علومهم، ونقلت لنا كتب التاريخ والأدب كثيراً من تلك المواقف، من ذلك ما روي عن ملازمة الكنديّ (ت٢٥٢هـ)، وهو الفيلسوف البارع، مجلس الخليفة المعتصم بالله ومصاحبته وإشارته وبيانه لكثير ممّا كان المعتصم يطلبه فيه حتى صار أثيراً عنده، مقرّباً منه[١]، و من أمارات ازدهار محافل العلم في سامراء آنذاك أنّ الكنديَّ[٢] لمّا ألّف كتابه (الفلسفة) أهداه للمعتصم[٣] لسبق معرفته أنّه كان طالباً للعلم والمعرفة، وممّا نُقل لنا عن أهل الأدب هناك كثرة

(١) ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٣٧١.

(٢) رجح محمد عبد الهادي أبو ريدة وهو محقق رسائله الفلسفية هذا التاريخ، وثمّة خلاف في تحديد وفاته. ينظر: رسائل الكندي الفلسفية (مقدمة المحقق) ج١، ص٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٩٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

تردد الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) على مجلس المعتصم بالله حين يذهب إلى سامراء[١]، ويظهر أنّه قد أشار على الخليفة بأنْ يُعلِّم أولاده من صنوف العلم والأدب، وألّا يكتفي من تعليمهم بصنف دون غيره فيقصروا عن رَدِّ الجواب على مَنْ يسألهم في غير ما تعلّموه، فنراه في رسائله قائلاً: (دخلتُ على أمير المؤمنين المعتصم بالله، فقلتُ له: يا أميرَ المؤمنين في اللّسان عشرُ خصالٍ: أداة يَظهر بها البيان، وشاهد يُخبر عن الضمير، وحاكم يفصل في الخطاب، وناطِق يُردُّ به الجواب، وشافع تُدركُ به الحاجة، وواصِف تُعرفُ به الأشياء، وواعظ ينهى عن القبيحِ، ومعزّ يُردّ به الأحزان، وخاصة يزهى بالضّيعةِ، وملّة يُونِق بالأسماع، وسمعَ عمر بن عبدالعزيز رجلاً فأبلغَ في حاجتهِ، فقال عمر: هذا والله السِّحر الحلال... فخُذ يا أميرَ المؤمنين أولادك بأنْ يتعلّموا من كُلِّ فنون الأدب، فإنّك إنْ أفردتهم بشيءٍ واحدٍ ثُمَّ سُئِلُوا عن غيره لم يُحسِنُوه...»[٢]، ويتضح من كلامه أنّه كان ناصحاً مُعرِّفاً بما يليق بأبناء الخلفاء، ويظهر أنّ الخليفة كان مسترشداً بما نُصِحَ به، وهذا يدلنا على قرب منزلة الجاحظ ومدى اهتمام الخلفاء بتقريب العلماء كافّة والانتفاع بعلومهم.

وممّا عزّز انتشار رقعة الأدب بين سائر العلوم اعتماد الخلفاء في سامراء على مجموعة من الكتّاب، فكانوا مقربين وندماء لهم في الوقت نفسه، ومن أولئك محمد بن عبد الملك المعروف بالزيّات (ت٢٣٣هـ) الذي اختاره المعتصم بالله وزيراً ونديماً له[٣]، كان أديباً وشاعراً مجيداً علاوة على معرفته بالنحو ودقائق اللغة، و من بين ما يذكر عن معرفته بالنحو ما روي من أنّ المازنيّ لمّا قدم على بغداد كان أصحابه وجلساؤه يخوضون في مسائل النحو، فإذا وقع الخلاف بينهم أمرهم المازني بأنْ يكتبوا إلى الزّيات يطلبون رأيه فيما اختلفوا فيه، فيكتب لهم رأيه في المسألة[٤]، و لي في هذه الإشارة نظر لا يقدح بشخص الزيّات وعلمه، إذ ممّا لا يُعقل أنْ يكون أبو عثمان المازنيّ (ت ٢٤٩ هـ) حاضراً بين صحبه وجلسائه ويطلب إليهم حين يختلفون في مسألة نحوية، أو تصريفية أنْ يكتبوا للزيّات يستوضحون رأيه، ومن ثَمَّ يعمد

(١) ينظر: عبد الباقي، أحمد، سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين، ج٢، ص٢٦٦.

(٢) ينظر: رسائل الجاحظ، ج١، ص ٣٧٩.

(٣) ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص٢٤٨.

(٤) ينظر: الخطيب، تاريخ بغداد، ج٣، ص ١٤٤.

المازنيُّ إلى اختيار ما يَرُدُّ به عليهم فيوضحه ويشرحه لهم[١].

والمتتبع لوقائع عصر الخلافة في سامراء يجد كلاماً وافراً وافياً عن اهتمام الخلفاء بمجالس العالم عامة، والأدب خاصة؛ إذ مال المعتصم بالله كثيراً إلى مرافقة الشعراء حتى إنّه اتّخذَ بعضهم أخلاء فصحبهم في رحلاته ومواطن نزهاته ومنهم الحسين بن الضّحاك الذي استقدمه إلى سامراء وصيّره نديماً له ورفيق رحلاته، فأحسن مقامه ومنزلته وأعلى قدره[٢]، ولأبي تمام الطائي قصائد عدّة في مدح المعتصم وفي مناسبات مختلفة[٣]، ومن أشهر قصائده في مدح الخليفة قصيدته في فتح عمورية حين غلب الروم[٤]، وقد أجزل له في العطاء وزاده بذلك قرباً[٥]، وممّن استأثر بقرب المعتصم من الشعراء علي بن الجهم[٦].

ولم يختلف حال الشّعراء في عهد الواثق بالله، والمتوكل على الله عن عهد المعتصم؛ إذ لم تزل للشاعر الحظوة نفسها من النَّدامة، واستئثارهم بقرب الخليفة ودنوهم منه، ولم تكن الحظوة والاستئثار مقصورة على الشعراء وحدهم، بل كان الواثق بالله محباً للنظر[٧] مكرماً لأهله مبغضا للتقليد، محباً للإشراف على علوم الناس وآرائهم، مقرّباً منه الفلاسفة[٨]، وذكر أنّه كان يعقد مجالسَ خاصّة يتحلّق

(١) ينظر: الخطيب، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٤. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العباسي، ص٥٦٠.

(٢) ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص ١٥٢، ١٥٣، الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص٣١ وما بعدها.

(٣) ينظر: عبد الباقي، سامرا عاصمة الدولة العربية،ج٢، ص٢٦٨.

(٤) ينظر: التبريزي، شرح ديوانه، ج١، ص٧١ وما بعدها.

(٥) ينظر: عبد الباقي، المصدر السابق، ص٢٦٨.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ،ج٢، ص ٢٧٣.

(٧) يطلق مصطلح النظر ويكون مختصاً بعلم الكلام الذي يعتمد على النظر والاستدلال العقلي لإثبات العقائد الدينية، ويتّخذ الحجاج والجدل العقلي سبيلاً لإثبات ما يدافع عنه من العقائد، وعلم الكلام صناعة بها يقتدر الإنسان على أنْ ينصر الآراء والأفعال التي صرّح بها الشارع المقدّس. ينظر: الفارابي، إحصاء العلوم، ٨٦، وينظر: أثر علم الكلام في الدراسات اللغوية إلى نهاية القرن الخامس الهجري (دراسة كموازنة) ج٢، ص٣.

(٨) ينظر: المسعوديّ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج ٤، ص ٧٧.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

حوله رجال اللغة والأدب، وربّما كان يبحث عن دلالة لفظ غريب تناهى إلى مسامعه وكان يُحاور جلساءه حول قضايا أدبية، وتاريخية، وفلسفية، والعلوم الطبيعية[١]، ويظهر أنّ الأمر لم يختلف في عهد المتوكل ومَن آلتْ إليه الخلافة بعده في سامراء، فقد اهتم العباسيّون في حاضرتهم الجديدة بمناحي العلم أيّما اهتمام، ونشط في سامراء فنون الحوار والجدل والمناظرات في سائر العلوم.

وشاع في مجالس الخلفاء في سامراء الغناء والألحان، ولاسيما في عصر الواثق الذي يكاد يتميّز عن سواه من الخلفاء وأبنائهم بتأثره باللحن والغناء، ويبدو أنّه أشدهم ولعاً وأكثرهم تقريباً لأهل الألحان والغناء، وعُدّ من أبرع الذين ضربوا على العود واتّخذ إسحاق الموصلي نديماً له في الغناء[٢]، ولمّا وَلِيَ المتوكلُ الخلافة أكثر من اصطناع الندماء، فقرب إليه الأدباء والشعراء والرواة، ولم تخلُ مجالسه يوماً من المناظرات الأدبية التي كان يثيرها بين ندمائه و من كان يجالسه[٣]، وعلى أية حال أكتفي بما ذكرتُ ممّا كان عليه حال مجالس الخلفاء في حاضرتهم الجديدة التي اختاروها عاصمة الدولة الإسلامية، وأرى أنّ ما ذُكِرَ يُمثِّلُ وجه الحياة العلمية الشاملة التي كانت سائدة في سامراء.

٢. مناظرات العلماء أنواعها وسماتها

لم تزل مجالس الخلافة في سامراء عامرةً حافلةً بالعلماء، والفقهاء، والشعراء، وأرباب علم الكلام، والفلسفة وغيرهم كُثُرٌ، ففيها اجتمع مريدو الخلفاء ومَنْ طلب نوالهم من العامّة والخاصّة؛ ولذلك كانت سامراء في أوج رقيّها آنذاك، واجتمع فيها من العلم ما أحدث كثيراً من الحوار وأثار كثيراً من الجدل بين أهل كلِّ علمٍ، وقد أفاد الخلفاء من هذه الأجواء فسعوا إلى استثمار تلاقح العلوم، وأفادوا من تواجد العلماء؛ لذا نجد تنوعاً في المناظرات من حيث تنوع العلوم التي ناظر فيها العلماء، ويمكن أنْ أورد أشهر أنواع المناظرات التي سادتْ في ذلك العصر، وربَّما كان للمتكلمين فضلٌ في بروز المناظرات إذ هيّؤوا جوًّا مشحونًا بالمناظرة والحوار، والبحث عن الدليل والحجّة، ومالوا إلى اتخاذ المناظرة سبيلاً إلى

(١) ينظر: عبد الباقي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٨٧.

(٢) ينظر: الاصفهاني، الأغاني، ج٩، ص٢٧٦، ٢٨٧.

(٣) ينظر: عبد الباقي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٩.

مباحثهم والكشف عن الحقائق التي ابتغوا الوصول إليها[١]، والمناظرة بمفهومها العام مرتبط بجانبها اللغوي، ويمكن أنْ أؤشر هنا أشهر المناظرات التي دارت في عصر سيادة سامراء وخلافة العباسيين فيها، وسأقتصر على أهم تلك الأنواع، ومنها:

٣. المناظرات الأدبية واللغويّة

حفلت مجالس الخلفاء في سامراء بحشد من العلماء والشّعراء، وكذلك الكتّاب ومن لديهم صيتٌ ذائعٌ ويدٌ طُولى في اللغة والأدب، وبعضهم كان وزيراً، وهو محمّد بن عبد الملك الزّيّات الذي كان أديباً لغوياً شهد جوَّ التناظر وفن المحاورة منذ أيام المأمون، وتشبّعت قريحته بهذا الفنّ ولم يكن ببعيد عمّن كان يناظر في بلاط العباسيين آنذاك [٢]، وعمد حين صار وزيراً في عهد المعتصم و الواثق إلى حضور المناظرات أو دعوة العلماء إلى مجلس الخليفة ليتناظروا في مسألة من مسائل اللغة، أو الأدب وكثيراً ما كان يشرك نفسه في تلك المناظرات فيناظر في مسائل اللغة والنّحو ويحتجُّ على خصومه بآرائه[٣]، وشاع هذا الجو كثيراً في سامراء ولاسيّما أيام وزارة الزيّات، وساعد على انتشار هذا النوع من المناظرات تشجيع الخلفاء أنفسهم على مثل تلك المناظرات، وممّا ساعد على انتشار مثل هذه المناظرات قضية الخلاف النّحوي التي شاعت بين النحويين ولاسيّما في العصر العباسيّ، فكان أصحابُ كلِّ رأي ينتصرون لآرائهم من خلال التناظر [٤]، فصارت المناظرات اللغوية والأدبية في سامراء أكثر شيوعاً من غيرها.

ولنا فيما حدث مع المُبرّد (ت٢٨٥هـ) خير دليل على حرص الخلفاء على استقدام النحاة واللغويين وغيرهم للاستعلام منهم عن مسألة من مسائل النحو، أو اللغة أو آي الذكر الحكيم، إذ استقدم المتوكل المُبرّد وطلب إحضاره من البصرة ليفصل في مسألة نحوية بينه وبين وزيره الفتح بن خاقان[٥]،

(١) ينظر: ضيف، المصدر السابق، ص٤٠١، قميني، نرجس، بورقية، سومية، فن المناظرات في مجالس الخلفاء العباسيين، ص١٠.

(٢) ينظر: الزيات، ديوان محمد بن عبد الملك الزيات، ص٤٠، ٤١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٤٠، ٤١.

(٤) ينظر مثلًا: السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص٥١.

(٥) ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٠٩، ١١٠، القفطي، إنباه الرواة على أنباه

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

وسيلحق الكلامُ على ما دار بينهم جميعاً في المبحث الثاني، وكان عصر المتوكل شهيراً بالمناظرات اللغوية والأدبية؛ إذ قرّب إليه اللغويين وأهل الأدب فشاع وفشا في مجالسه التناظر فيما بينهم[١]، وروي أنّ من بين مَنْ وَفدَ على سامراء محمد بن حبيب النّحويّ (ت ٣٤٥ هـ) حتى توفي فيها[٢]، وربّما كان له آراء ومواقف ومناظرات في حضور الخلفاء آنذاك.

٤. المناظرات الدينية والعقدية

ويكاد يكون هذا النوع من المناظرات أكثر الأنواع شهرةً، وأوسعها نطاقاً؛ إذ برز نوع من المناظرات مختصّ بالجانب العقدي والديني، ولاسيّما أثناء نشاط المعتزلة وبحثهم مسألة خلق القرآن، وما ينحو منحاها من العدل والتوحيد[٣]، وما يدور في مباحث علم الكلام إذ ساعد النظر العقلي والفلسفي في انتشار المناظرة الدينية وسواها، وربّما كانت مناظرات المعتزلة مع خصومهم في مسائل العقيدة والدين أبرز تلك المناظرات[٤]، إذ نصبوا أنفسهم لإبطال الملل والنِّحل وكذلك الرد على الملاحدة[٥]، ومن أمثلة المناظرات العقدية في مجلس المعتصم مناظرة أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) حين ناظره ابن أبي دؤاد (ت ٢٤٠ هـ) في مسألة خلق القُرآن التي كان يعتقد بها هو والمعتصم، ويبدو أنّ أبا دؤاد كان يُشير على الخليفة أنْ يمتحن الفقهاء والقضاة بهذه القضية[٦]، وعلى أيّة حال فقد طلب المعتصم أنْ يتناظرا موجّهاً تناظرهما في خلق القرآن[٧]، ولستُ بصدد ذكر هذه المناظرة التي يطول مقام الكلام عليها، ولكنّي أُفيدُ ممّا نُقلَ عنها، وكان من نتائج هذه المناظرة جَعلُ الإمام أحمد في محنة؛ لأنّه لم يقرّ بخلق القرآن [٨]، ويبدو أنّ مثل هذه المناظرات استمرت

النحاة، ج ٣، ص٢٤٣، ٢٢٤.

(١) ينظر: عبد الباقي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٩.

(٢) ينظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ج ٢، ص١٥٣.

(٣) للاستزادة ينظر: حامد أبو زيد، نصر، الاتجاه العقلي في التفسير، ص١١ وما بعدها.

(٤) ينظر: قميني، نرجس، بورقية، سومية، المصدر السابق، ص١٨.

(٥) ينظر: السيوفي، مصطفى، تاريخ الأدب في العصر العبّاسي، ص ١٤١.

(٦) ينظر: عبد الباقي، المصدر السابق، ج٢، ص٩٤.

(٧) ينظر: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص٤٣٢.

(٨) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٤٥.

في عهد الواثق بالله والمتوكّل على الله فلم تَخْلُ مجالسهم منها بين الحين والآخر[١]، وإنّما نقلتُ هذه المناظرة لشهرتها واكتفاءً بها عن إيراد غيرها من أمثالها أيّام الخلافة في سامراء؛ لأنّ غايةَ البحث الكشفُ عن المناظرات النّحوية فيها.

وضربتُ صفحاً عن كلّ ما ليس من شأنه أنْ يخدم البحث فآثرتُ الإعراض عن ذكر سائر المناظرات الأخر كالمناظرات السياسية، والفلسفية وغيرها[٢]؛ لأنهّا كما أعتقد لا تخدم مسيرة البحث بشكل مباشر، فإنْ وقفتُ عليها صارت على وفق ما أتبنّاه من فضول القول ونافلة من القول؛ ولهذا ابتعدتُ عن ذكرها والتعرض لها، وتكفّل كثير من الباحثين بالوقوف عليها واستقصائها وكشفوا عن محتواها وأظهروا ما يتعلق بها، وأُلفتُ النظر إلى أنّ بعض ما دار في سامراء بين النّحاة أنفسهم في حلقات الدرس ومجالس العلم سواء كان في المساجد أم في مجالس الخلفاء أو وزرائهم يُعدُّ من قبيل المحاورة والاحتجاج النّحوي التي دارت بين كثير من النّحويين ممّن استوطن سامراء، أو ممّن قَدِمَ إليها وافداً بطلب استقدام من الخلفاء أنفسهم، وهذا النمط من المحاورات لا بُدّ من أنْ أقف على بعض أمثلته لتتضح لنا صورة الدرس النّحوي هناك ومَآله، وكيفية التعاطي معه على نحو الإيجاز لكثرة ما ورد من وجوه المحاورات النحوية والاحتجاج للآراء وانتصارهم لما تبنّاه كلُّ نحويّ حاجّ غيره فرداً كان أم أصحاب مذهب نحويّ بعينه.

فالمحاورة والاحتجاج وجهان لعملة واحدة عند بعض الدارسين[٣]، فهما متساويان من أجل هدف واحد هو الانتصار لرأي متبنّى فتكون غاية المحاورة إثبات ضعف رأي المُحَاجَج أو الغلبة عليه، ولمّا كانت المحاورة تعني في أكثر ما ترد فيه المجاوبة ومراجعة الكلام[٤] سواء كان ذلك بين شخصين أو أكثر غايتهما تحقيق الانتصار والغلبة في موضوع محدد ولا يتحقق ذلك إلّا بتحديد موضوع

(١) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٤١، الخطيب، المصدر السابق، ج١٤، ص١٨.

(٢) ينظر: إكرام، أولاد ضياف، مجالس المناظرات في العصر العباسي الأول، ص٨٠ وما بعدها.

(٣) ينظر: مجالس المناظرات في العصر العبّاسي الأول، ص١٨، ١٩.

(٤) ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ج١، ص٢٢١.

معين[1]، وتحديد الموضوع هو الذي قارب بين هذه المصطلحات وجعلها مُشاركة من أجل تحقيق الغاية وهي الانتصار لرأي أو موقف في نهاية المطاف، و الاحتجاجُ على سعة ما يشمل لا يتعدّى ما يُدفعُ به الخصم[2] ولعلّ في جذر هذه المادة دليلٌ على طلب المناقشة و إثبات البرهان والدليل، ويرى الدكتور رحيم جبر الحسناوي أنّ كلّ مناظرة لا بد من احتوائها على محاورة واحتجاج لدفع الخصوم وإثبات الآراء التي تبنّاها المُناظِرُ[3]؛ ولذلك نجد أنّ مناظرات النّحويين ومحاوراتهم التي وقعت في بلاط الخلفاء في القرن الهجري الثالث لم تَخلُ مطلقاً من الاحتجاج؛ ومن أجل ذلك ستمرّ بنا شواهد المحاورة والمناظرات والاحتجاج النّحوي التي دارتْ في سامراء وكان الخلفاءُ قد رعوا كثيراً منها ووقعت تحت أنظارهم، وأشرفوا على بعضها إشرافاً مباشراً منهم وأثابوا الفئة التي تغلب وتنتصر لآرائها ثواباً مادياً جزيلاً.

وإذا ثَبُتَ أنّ هذه المصطلحات الثلاثة تتعاقبُ في استعمالها لتدلّ على مصاديق تحقّق وقوعها في مركز الخلافة ومطمح العلوم آنذاك فسأعمد في المبحث الثاني إلى الوقوف على هذه المصاديق بشكل تفصيلي مكتفياً بأشهر تلك المناظرات والاحتجاجات النحوية، وأكثرها تناولاً في كتب المجالس والطبقات عند النحويين، وأعتذر عن عدم الوقوف عليها جميعاً لضيق مساحة البحث وطلباً للإيجاز فيه، إذ ليس من شأنه أنْ يكون بحثاً استقصائياً جامعاً لكل مناظرة أو احتجاج وقع في مجالس النحاة ومحافلهم.

المبحث الثاني

مناظرات النَّحويّين في سامراء

يلزم في هذا الموضع من البحث أن أعرض ما جرى في المناظرات، وما يماثلها من محاورة واحتجاج إذا أُخذ بنظر الاعتبار أنّ كلّ مناظرة تكون بطبيعتها قائمة على الحوار، ومشتملة على الاحتجاج للانتصار لرأي أو مذهب نحويّ معين سواء كان بصريّاً أم كوفيّاً، وينبغي تبعاً لذلك أنْ أتعرّض لسياق الحال في كل مناظرة؛ لأصل إلى هدف كلّ مناظرة وغايتها، ويتوجّب

(١) ينظر: سيد طنطاوي، محمد، أدب الحوار، ص١٠.

(٢) ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٦، ص١٥٨.

(٣) ينظر: الحسناوي، المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية: ٧٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

كذلك عرض المسألة النحوية وإماطة اللثام عن آراء النحاة فيها، ويترتب على ذلك طرح سؤالات بحسب المواقف التي تبنّاها كلُّ نحوي ناظر غيره، ومن بين أهم تلك السؤالات سؤال يتبادر إلى الخاطر مفاده، هل كان القصد من وراء إقامة مثل تلك المناظرات والاحتجاجات هو إظهار الجانب العلمي أم صاحبه أمر آخر؟ ومن بين ما يقتضيه البحث التفتيش عن آراء النّحويين الذين سأقف على مناظراتهم وحججهم ومحاوراتهم، وهم أساطين النحو العربي وأرباب المذاهب النّحوية فيه لأصل إلى الهدف الحقيقي من وراء كل ذلك، و أريد القول هنا: إني سأتتبع آراء كلٍّ منهم وسأتبنّى السؤال الآتي هل ما تناظروا به وما ساقوه من حججٍ وأدلة كان من بين آرائهم الحقيقة أم أنّه شيءٌ آخر غيره؟ وأرى أنْ أبدأ بمناظرة أبي عثمان المازنيّ مع يعقوب بن السّكّيت (ت ٢٤٤ هـ) في مجلس محمد بن عبد الملك الزيّات الذي كان وزيراً للمعتصم والواثق[١]، وأنقل ما دار بينهما من مناظرة ولا ألتفتُ إلى تباين المنقول في كتب المجالس وطبقات النحويين؛ لأنها لم تتعدَّ التقديم والتأخير في الألفاظ ولم تختلف في محتواها وألفاظها، وأكتفي بما دار بينهما توصّلاً لما في المسألة من نتيجة النّظر المتحصلة منها، وسأعرض للمناظرات النّحوية والاحتجاج لها بشكل انتقائي يكشف عمّا دار فيها مادة ومسائل نحوية، وكذلك العلماء المشاركين في تلك المناظرات، وسيكون ذلك على النحو الآتي:

(١) الزركلي، المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٨.

أوّلاً: مناظرات أبي عثمان المازني

نقلتْ لنا بعض المظانّ أنّ المناظرة وقعت بين المازنيّ وابن السِّكِّيت الذي كان مؤدّباً لابني المتوكل في سامراء، إنّما كانت بطلب من المتوكل نفسه[٢]، وفيها يقول المازنيّ: (حضرتُ يوماً مجلسَ المتوكّل، فقال: تكلَّما في مسألةٍ نحويةٍ، فقلتُ له: اسأل، فقال: اسأل أنت، فقلتُ له: ما وزن «نكتل» اللفظة الواردة في الآية المذكورة فيها قصة إخوة يوسف؟ قال: فتسرّع، وقال: وزنها (نَفْعَل)، فقلتُ له: اتّئد وانظر، قال: فأفكر، ثُمَّ قال وزنها: (نَفتَعل)، قال: فقلتُ له: (نكتل) أربعة أحرف، و (نفتعل) خمسة أحرف، فكيف الرباعيّ بالخماسيّ، فَبُهِتَ و لم يُحِر جواباً، فقال له المتوكِّلُ: فما تقول أنت يا مازنيّ؟

(٢) ينظر: القفطي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠، السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ج٣، ص ٣٤.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

قال: قلتُ: وزنها في الأصل (نفتعل)؛ لأنّها (نَكْتِيل)، فلمّا تحرّك حرف العلّة، وهو الياء وانفتح ما قبلها قلبتْ ألفاً، فصارتْ (نَكتَال) ولمّا دخل الجازم صارت (نكتل)، فقال المتوكّلُ: هذا هو الحقُّ، وانخزل ابن السِّكّيت وَوَجَم، وظهر ذلك عليه وقمنا، فلمّا خرجنا قال ابنُ السِّكّيتُ في الطريق: بالغتَ في أذاي، فقلتُ له: لم أقصدك بشيءٍ ممّا جرى، وإنَّما مسألةٌ قريبةٌ من خاطري فذكرتها»[١]، وانطلق إلى ما في هذه المناظر من مقولة لرشيد عبدالرحمن العبيدي وفيها: «وهذه مسألة أقرب إلى اختصاص ابن السكيت، ومع ذلك فقد تلكّأ المازنيُّ في سؤاله باديء ذي بدء علماً بتأخره في صناعة الإعراب، فأجهد نفسه في التلخيص وتنكّب السؤال الحوشي العويص، ليأتي له بما هو من اختصاصه، ففاتتْ على ابن السِّكّيت ولم تَفُتْ على المازني فأرجع الكلمة إلى الأصل وأوضح ما حدث فيها من إعلال وإبدال»[٢]، ونجد في نصِّ الدكتور العبيدي مسألتين، أُولاهما: إشعار بأنّ المازنيَّ تجنّب اختيار سؤالٍ يعتاص على ابن السكيت فيحارُ في جوابه، وأُخراها: تدلّ على أنّ وزنَ (نكتل) ممّا اجتمعتْ فيه علَّتان صرفيّتان هما الإعلال والحذف، وهما بحسب ما يرى المازنيُّ من (نكتيل) يائي الأصل حُرّكتْ ياؤه وانفتح ما قبلها فأُعلّتْ لتصبح (نَكتَال) بالألف، ثُمَّ لحقته علّة الحذف بدخول حرف الجزم كما يذهب المازنيّ، وهذه المناظرة قائمة على (نكتل) في قوله تعالى ما يأتي: ﴿**فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [يوسف:٦٣]، وإذا أردنا الاحتكام إلى حجّة كليهما فابن السِّكّيت يذهب إلى أنّ وزنه (نفعل) و إنّما جُزم لوقوعه جواباً للأمر، ويؤيد وقوعه جواباً للأمر ما ذهب إليه الآلوسيُّ من أنّ الفعل (نكتل) قد ورد على حقيقته ومراده منع (الكيل لأخيهم الغائب حملا آخر ورد بغيره غير محمل بناءً على رواية أنه عليه السلام لم يعط له وسقا فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانا بنيامين إلى مصر، وفيه إيذان بأن مدار المنع على عدم كونه معهم نَكْتَلْ أي من الطعام ما نحتاج إليه، وهو جواب الطلب...»[٣]، وإذا كان لجواب الأمر تحقق ولصيغة (نفعل) وقوع في العربية ففي هذا الاحتجاج وجه للقبول، ويعززُ

(١) السيوطي، المصدر السابق: ج١، ص٢٥٠-٢٥١، و ينظر: الزجاجي، مجالس العلماء.

(٢) العبيدي، رشيد عبد الرحمن، أبو عثمان المازنّي ومذاهبه في الصرف والنحو، ص٤٨.

(٣) الآلوسّي، روح المعاني، ج٧، ص١٢.

مجلة تراث السامرائي
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

هذا الوجه ما ذكره أبو القاسم الزجاجيّ (ت٣٤٠هـ) من أنّ ابن السِّكِّيت لمّا انفضتْ المناظرة بينهما عَتبَ على أبي عثمان، فمن بين ما ورد من العتب قوله: (... فلمّا خرجنا قال لي: وَيْحَكَ ما حَفِظْتَ الوِدّ، خجّلتني بين الجماعة، فقلتُ: و الله لا أعرف ما في القرآن أسهل منها، فقالَ: وزن نكتل نفتعل من اكتال يكتالُ، فقلبت الياء ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، ثُمَّ حُذِفت الألف لسكونها وسكون اللام فصارت نكتل)[١]، و يترتب على ما في هذه الرواية أمر هو أنّ ابن السِّكِّيت لم يكن غافلاً عن توجيه سؤال أبي عثمان توجيهاً سليماً أو يقرب من أنْ يكون كذلك، إذ نجد في المعجم العربي ما يدلّ على أصل الاشتقاق الذي ذكره ابن السِّكِّيت، فأشار الأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ) إلى معنى قريب ممّا ذكره يعقوب من حيث الاشتقاق والدلالة[٢]، وامتعض بعض اللغويين ممّا وُضِعَ فيه أبو يوسف، فهذا ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) يصرّح بأنّ ما وضع فيه ابن السِّكِّيت لم يكن محموداً، يقول: (... ثم قال: يا أبا يوسف، ما وزن نكتل من قوله عز وجل: فأرسل معنا أخانا نكتل، فقال له: نفعل؛ قال: وكان هناك قوم قد علموا هذا المقدار، ولم يؤتوا من حظ يعقوب في اللغة المعشار، ففاضوا ضحكاً، وأداروا من اللهو فلكاً، وارتفع المتوكل وخرج السِّكِّيتي والمازنيّ، فقال ابن السِّكِّيت: يا أبا عثمان أسأت عشرتي وأذويت بشرتي، فقال له المازنيّ: والله ما سألتك عن هذا حتى بحثت فلم أجد أدنى منه محاولا، ولا أقرب منه متناولا)[٣]، ويبدو أنّ أثراً نفسياً ترتب عَقبَ هذه المناظرة فقد ضَحِكَ مَنْ كان في مجلس الخليفة على ردِّ أبي يوسف و ما آل إليه حاله، وهذا يدفع بي إلى توجيه السؤال الآتي، وهو هل كانت المناظرة بينهما مدبّرةً أم أنّها عفويةٌ؟ لا تعدو كونها نتاج حضور تساؤل ما أراد من ورائه المتوكّل أنْ يثير مسألة ليحتدم النّقاش بين من كان حاضراً بين يديه من العلماء، ولمحاولة الإجابة عنه نستحضر موقف الخليفة وموقف السائل والمسؤول، فقد روى القفطي (ت٦٤٦ هـ) أنّهما لمّا اجتمعا في مجلس الخليفة أشار إلى المازنيّ أنْ يسأل ابن السِّكِّيت[٤]، و في

(١) الزجاجي، المصدر السابق (المجلس ١٣٧)، ص٢٣٠.

(٢) ينظر: الازهري، تهذيب اللغة، ج١٠، ص١٩٣.

(٣) ابن سيده، المحكم، ج١، ص٤.

(٤) ينظر: القفطي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

الأمر غرابة من جهة أنّ المازنيّ قد قَدِمَ على سامراء من البصرة في حين أنّ أبا يوسف مؤدّب أولاد الخلفاء في دار الخلافة نفسها، فكان من الأولى أنْ يُبادر الخليفة بالإشارة لمن اتصل به اتصالاً مباشراً وهذا الحال ممّا يقترب من الواقع المتداول بين عامّة الناس فضلاً عن عِلْيَةِ القوم، وبعقب ما تقدّم يطالعنا سؤال آخر هو هل كان الخليفة ميّالاً إلى نحو البصرة ومذهبهم السائد، فمالَ بذلك إلى تقديم المازنيّ؟ ولم تُقَدّم لنا كتب طبقات النحويين ما يفسّر أو يوضح سبب الطلب من البصريّ وجَعلِ ابن السِّكِّيت مسؤولاً، وأخرى تتعلّق باختيار أبي عثمان للسؤال فقد نُقِلَ أنّ ابن السِّكِّيت لم يكن متقدماً في إجابة مثل هذه الأسئلة مع عِلمِ المازنيّ بتأخر أبي يوسف في الإعراب[١]، ويتبادر إلى الذهن سؤال غير ما تقدّم هو إذا كان الأمر كذلك فَلِمَ لم يبادره بسؤال غير ما سُئِل به، ويمكن أنْ يجاب عن هذا السؤال بما رُوِيَ عن معاتبة ابن السِّكِّيت للمازنيِّ، فَردَّ المازنيُّ قائلا: (... فقلتُ: والله ما أعرف في القرآن أسهل منها...)[٢]، ويحيلنا نَصُّ الاعتذار هذا إلى أنّ المازنيّ لم يكن يقصد إحراج ابن السِّكِّيت غير أنّ السؤال الأساس لم يتهيأ له جواب، وهو سبب طلب الخليفة من المازنيّ البدء بالسؤال أ لقدومه من البصرة فأكرمه لذلك، أم لشيء آخر غيره، ولم تُسعفنَا المصادر إلى الاهتداء إلى إجابته.

وممّا تناقلته المصادر من المناظرات النّحوية في سامراء مناظرة بينه من جهة وبين ابن سعدان النّحويّ الضّرير (ت٢٣١هـ)[٣]، وأبي عبد الله محمد بن قادم (ت٢٥١هـ)[٤]، وهما نحويانِ كوفيّانِ ناظرهما في مسألة (إعمال المصدر)[٥] وكان

(١) ابن سيده، المصدر السابق، ج١، ص٤.

(٢) الزجاجي، المصدر السابق (المجلس١٣٧)، ص٢٣٠.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن سعدان نحويّ كوفّي أخذ النحو عن علمائها حتى برع في النّحو. ينظر: الأنباريّ، أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ج١، ص١٢٣.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله النّحويّ الكوفيّ المعروف بابن قادم، وهو أستاذ ثعلب وكان معلماً للمعتز قبل أن يتولّى الخلافة له مصنّفات منها «كتاب غريب الحديث»، و«كتاب الملوك» في النّحو. ينظر: القفطي، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٦- ١٥٨، وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي اليماني: ٤٨.

(٥) هذه المسألة خلافية بين المذهبين البصريّ والكوفيّ. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الأنباري، أبو البركات (المسألة ٢٨) وفيها تفصيل آرائهم وحججهم في أصل الاشتقاق المصدر أو الفعل

مجلة تراث السامرائي
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

ذلك بطلب من الواثق بالله، إذ ذُكِرَ أنّه قد طلب إليه أنْ يناظرهما، قال المازنيُّ: (... قلتُ لابن قادم: أو لابن سعدان لَمَّا كابراني، كيف تقول: «نفقتُك ديناراً أصلحُ من درهمٍ ؟»، فقال: دينارٌ بالرفع، قلتُ: فكيف تقول: «ضربُك زيداً خيرٌ لك؟»، فنصب زيداً، فقلتُ له: فرّق بينهما، فانقطع وكان ذلك عند الواثق)[١]، لم يقف الدكتور رشيد العبيديّ عند هذه المناظرة طويلاً واكتفى بوصفه في مناظرته أنّه كان ذو بديهة وقدرة على قطع مناظريه، قوي الحجة بارع فيها[٢]، ويلحظ أنّ المازنيّ بارعٌ بحق في سَوْقِ المسائل التي يناظر بها ويحتجّ لآرائه ومذهبه غير أنّه اكتفى هنا بعرض ما سأله عنهما وعنده أنّ المصدر يعمل عمله فإذا كان متعدياً نصب (ديناراً) على خلاف ما ذهب إليه الكوفيّانِ (دينارٌ)، إذ المصدر في الجملة هو (نفقتُك)، والظاهر أنْ لا خلاف بين النّحاة في إعمال المصدر عمل فعله إنْ كان المصدر مضافاً[٣]، والمصدر في سؤال المازنيّ مضاف إلى الضمير (الكاف)، وإذا لم يكن ثمّة خلاف بين النُّحاة فعلى أيِّ شيءٍ نتج الخلافُ؟ هل كان الكوفيان يريانِ أنّ فعل هذا المصدر لازم؛ لذلك رفعا «دينار»، ويراه متعدياً فوَجبَ عنده أنْ يكون معموله منصوباً؟ إذ المصدر يعمل عمل ما اشتُقَّ منه من الأفعال، ويبدو أنّ انقطاع حجته عن الرفع طلب تفسير الفرق بينهما، فلا حجة لمناظره، وما يؤخذ على ما في هذه المناظرة أنّها قد خلتْ من ذكر العلل التي ألجأته إلى إعماله بنصب معموله وهو مضاف كذلك، وعدم تفسير ابن قادم وابن سعدان لإعماله لازماً مكتفياً بالمرفوع «دينارٌ» مع عدم وجود الخلاف في مثل هذه المسألة إنْ كان المصدر مضافاً، وهذا بحسب ما أرى قد جعل المناظرة مشتملةً في بعض جزئياتها على الغموض، وقد يُفسّر سكوتهما عن تفصيلات تلك العلل هو أنّ المسألة من المسلّمات؛ لذلك يمكن أنّ عدم دخولهم في التفريعات وتفصيلات هذه المسألة يدلُّ ضمناً على تمكنهما من هذه المسألة؛ ولعلّ في ذلك تسويغ لسكوتهما عن ذلك.

أو الاسم وفيها ما يتعلّق بإعمال المصدر وحجة كلّ مذهب منهما في المسألة، ينظر: ج ١، ص٢٣٥ وما بعدها.

(١) القفطي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥١.

(٢) ينظر: العبيدي، رشيد، المصدر السابق، ص٤٩.

(٣) ينظر: الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،ج ٣، ص١٧٥ هامش المحقق.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

ومن مناظراته التي أعجب بها الواثق حين اجتمع عنده نحاة الكوفة، فطلب إليه الخليفة أنْ يناظرهم في مسألة من مسائل النّحو، ويغلب على تعليله فيها الجانب الصّرفي الذي برع فيه كثيراً وأحسن فيه وأجاد، قال المازنيُّ: (حضرتُ يوماً واجتمع جماعة نحويي الكوفة، فقال لي الواثق: يا مازني هاتِ مسألة، قلتُ: ما تقولون في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، لِمَ لَمْ يقل: «بغيّة» وهو صفة لمؤنّث؟ فأجابوا بجوابات غير مرضية، فقال لي: هاتِ، قلتُ: لو كان «بغي» على تقدير: (فعيل) بمعنى فاعلة لحقتها الهاء، مثل: كريمة وظريفة، وإنّما تحذف الهاء إذا كانت معنى مفعولة في نحو: امرأة قتيل، وكفّ خضيب، وبغيّ ها هنا ليس بفعيل، إنّما (فعول) لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث، نحو: امرأة شكور، وبئر شطون إذا كانت بعيدة الرّشاء، وتقديره: بغي، بغوي قلبت الواو ياءً ثُمَّ أُدغمت الواو في الياء فصارتْ ياء ثقيلة، نحو: سيّد وميّت، فاستحسن الجواب»[١]، وما يستدعي التأمّل في هذه المناظرة أمران، أوّلهما: عدم ذكر مَنْ مِن الكوفيين حضرها، أو تسمية أحدهم في الأقل، والآخر: أنّه ناظر بما برع به وهي مسائل التصريف، ويظهر منها أنّه أجاد في التعليل وتفسير الظاهرة في العربية، وقرنها إلى نظائرها ومثيلاتها، وأرجع كلٌّ من صيغ الأوزان التي قد تتشابه معها فتختلط على العامّة، بل حتى على الخاصّة أ وليس الكوفيون - الذين لم يُسمِّهم - قد كانوا أهل صنعة خاصّة في النحو ومع ذلك فقد اختلطت عليهم المسألة بحسب ما روي؛ ولذلك كان لبراعته في المناظرات التي حضرها وانتصاره لآرائه فيها جعله محبَّباً قريباً من نفس الواثق[٢].

وله مناظرة في مجلس الواثق التي نُقِل أنّه قد جِيءَ به من البصرة إلى سامراء ليحلّ خلافاً وقع في مجلسه حين غنّته جاريته، قول الشاعر[٣]:

أَظُلَيمُ إنَّ مُصَابَكُم رَجُلًا

أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

(١) الانداسي، المصدر السابق، ص٩٤، ٩٥، والحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ج٧، ص١١٨.

(٢) ينظر: الاندلسي، المصدر السابق، ص ٩٨، ٩٩.

(٣) البيت مختلف في نسبته فهو منسوب للعرجيِّ. ينظر: الحريري، دُرّة الغواص في أوهام الخواص، ص٤٣، . ينظر: الخطيب، خزانة الأدب، ج١، ص ٢١٧.

فردّ بعض الحاضرين عليها نصبها (رجلًا)، وظُنَّ أنّه خبر إنَّ، فقالت: لا أقبل[1]، وعلى إثر ذلك دار حوار وجدل بين الجارية، وبين الحاضرين في مجلس الواثق، ويبدو من بعض حُجَج المعترضين أنّهم كانوا من النّحاة لا من عامّة الناس، ولعلّ بعض ما يثبت ما أذهب إليه احتجاج الجالسين على الجارية والعلّة التي ذكروها ظنًّا منهم أنّها حادت عن الصّواب، وجانبته فاعتلُّوا لذلك بأنْ تكون «... وإنّما هو مفعول المصدر، ومصابكم في معنى إصابتكم، وظلمُ خبر إنّ...»[2]، وواضح من سوقهم احتمالية المعنى أنّهم ليسوا من عامّة الناس، بل يرجح عندي أنّهم نحويون، وفي هذا المجلس ذكرت الجارية أنّها قد أخذتْ تلك المسألة عن أعلم أهل البصرة في النحو فطلبه الواثق بالله وأُشخص من البصرة إلى سُرّ مَن رأى[3]، ولمّا حضر فيهم المازنيّ بعد سفر وعناء مَثُلَ في حضرة الخليفة ودار بينهما حوار طويل ليست بي حاجة لذكره هنا؛ لأنّه يتعلّق باسم المازني ونسبة قبيلته[4]وبعد محاورته وسؤاله أَثبتَ صحة ما ادعته الجارية، فاستحسن الواثق ردّه وأدلته وحججه طلب إليه أنْ يحادثه المازنيّ، فقال: «... يا أمير المؤمنين هيبتُك تمنعني من ذلك، وقد قال الراجز[5]:

لَا تَقْلُوَاهَا وَ ادْلُوَاهَا دَلْوَا

إنَّ مَعَ اليَوْم أَخَاهُ غَدَوَا

قال: فسِّره لنا، قلتُ: لا تقلواها: لا تُعنِّفاها في السّير، يقال: قَلَوتُه إذا سِرت سيرا عنيفاً، و دلَوتُ إذا سرت سيراً رفيقاً»[6]، ولم ينفضّ مجلسهم حتّى أُحضِرَ أبو محمد التُّوزيّ (ت ٢٣٨ هـ) وهو نحويّ بصريّ المذهب والهوى[7]، ونقل أنّه كان في دار الواثق لمّا حضر المازنيّ بين يديه[8]، وهذا يدلنا على أنّ دار الخلافة في سامراء كانت محلًّا للنّحاة وأرباب اللغة، وهو ما يقوّي

(١) القفطي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٩.

(٣) ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج٧، ص١١٥.

(٤) القفطي، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٩.

(٥) لم ينسب بيت الرجز هذا إلى راجز بعينه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٨، ص٢٩٣.

(٦) القفطي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠.

(٧) ينظر: الانباري، المصدر السابق، ج١، ص١٣٥.

(٨) القفطي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

كثرة حصول المناظرات والاحتجاجات وتبادل الآراء النحوية، وشيوع ذلك حتى ليمكن عدها ظاهرة نحوية في تلك الأيام، ودليل ذلك كثرة مناظرات المازنيّ وغيره ممّا سيذكر في البحث، أو ما سيشار إليه على نحو الإشارة طلباً للإيجاز وعدم الإطالة.

ولمّا اجتمع المازنيّ والتُّوزيّ في مجلس الخليفة كان التوزيّ يقولُ فيها: « إنّ مصابَكم رجلٌ» برفع (الرجل)، فيظُنّ أنّ (مصابَكم) مفعول، و (رجل) خبر، فسأله المازنيُّ: كيف تقول: «إنَّ ضربَك زيداً ظلمُ»؟، فاكتفى التوزي بما سُئِل، وقال: حسبي، وفهم[١]، ولعلّ غلبة المازنّي في الاحتجاج واضحة سواء كانت مناظرته بينه وبين أتباع مذهبه البصري نفسه أم مِن الكوفيين الذين يخالفونه في الرؤى والاتجاه النّحوي، وقد اتّسمت مناظراته بقوة حجته وسرعة حضور الشواهد، والأدلة الجاهزة التي تُعدُّ من أبرز دِعامات الاحتجاج على الخصم والانتصار عليه، وفيها يبرز براعة المحتجّ فتعلو به إلى الغلبة وإفحام المحتجّ عليه[٢]، ومن الأدلة الجاهزة التي ذكرتها الأمثلة والشواهد[٣] التي وظّفها المازنّي في أسئلته التي طرحها أمام من احتج عليه، وأسلوب المازنيّ في مناظراته يبدو عليه الهدوء، وكذلك كان بينه وبين الكوفيين تقارب فكان كل فريق منهما يتدارس آراء الآخر حتى اقترب المازنيُّ منهم، واقتربوا منه لكثرة ما دار بينهم من مناظرات[٤]، ويظهر أنّ المازنيّ لم يكن متعصباً لبصريته ومذهبه النحوي، فقد ذكرت لنا كتب التراث النحوي خروجه على آراء المذهب البصريّ، ولعلّ في ذلك ما يؤكد رفقه بمن كان يحاور ويحاجج سواء كان كوفياً كابن السِّكِّيت أم بصرياً كأبي محمد التّوزيّ، ويبدو أنّ الرّجل لم يكن يحاجّ أو يناظر لمجرد إثبات أفضليته على غيره، وأكبر الظن أنّه كان ميّالاً إلى قبول الآراء التي يدلّ عليها الدليل ولا يهمه مذهب من قال بها، فخرج على مذهبه في كثير من المسائل النّحوية وتفرّد في بعض الآراء[٥]، وأخلص إلى القول إنّ المازنيّ قد كسب ود الخلافة على سامراء وعقدتْ له مجالس المناظرات

(١) القفطي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٠.

(٢) ينظر: مُسعد، وهيبة، آليات الحجاج في المناظرات النّحوية (السيرافي ومتّى أنموذجاً)، ص٢٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٣ و ما بعدها.

(٤) ينظر: محمود، المدرسة البغدادية، ص٩٧.

(٥) ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج١، ص١٥٢. وينظر: السيوطي، همع الهوامع، ج١، ص٤٢، ٨٧، ٨٩ وغيرها .

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

مراراً وتكراراً حتى قارب الصدارة فيها.

ثانياً: مناظرات المبرد وحجه ومحاوراته

روي أنّ المبرِّدَ قد أُشخِصَ من البصرة إلى سامراء واستُقدِمَ على المتوكل بعد أنْ قرأ الخليفة قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، (وما يشعركم أنّها)، فقال: الفتح بن خاقان – كان وزير المتوكّل آنذاك – يا مولاي إنّها بالكسر، ووقع بينهما جدال حول هذه المسألة النّحوية، فتبايعا على عشرة آلاف دينار وجعلا حكومتها عند أقرب أصدقاء المبرّد، وهو يزيد بن محمد المهلبي[١]، فأشار عليهما أنْ يُشخَص المُبرّد ليحلّ ما وقعا فيه، فأُحضر من البصرة إلى سامراء لأجل هذا الأمر[٢]، وكان صيتُ المبّرد ذائعاً مشهوراً بحسن رأيه، وسديد أقواله، فلمّا دخلها لقيه الفتح بن خاقان، قال المُبرّدُ:

«... وردتُ سُرَّ مَن رأى فأُدخلتُ على الفتح بن خاقان، فقال لي: يا بصريُّ كيف تقرأ هذا الحرف: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، بالكسر أو ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ﴾ بالفتح؟، فقلتُ: إنّها بالكسر، هذا هو المختار، وذلك أنّ أوّل الآية ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، ثُمَّ قال تبارك وتعالى: يا محمد: ﴿إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ﴾ باستئناف جواب الكلام المتقدم، قال: صدقتَ، وركبَ إلى دار أمير المؤمنين، فعرّفه بقدومي وطالبه بدفع ما تخاطرا عليه، وتبايعا فيه، فأمر بإحضاري فحضرتُ، فلمَّا وقعتْ عينُ المتوكل عليّ، قال: يا بصريّ، كيف تقرأ هذه الآية... فقلتُ: يا أمير المؤمنين أكثر الناس يقرؤها بالفتح، فضحك وضرب برجله اليسرى، وقال: يا فتح أحضر المال...»[٣]، وممّا عرض يتّضح أنّ استدلال المبرد على اختيار كسر همزة (إنّ) قائم على اعتبار استئناف الكلام، فتكون الهمزة معه مكسورة على نحو أنْ تكسر الهمزة وجوباً إذا ابتدأ الكلامُ بها[٤]، فالقراءة بها مستأنفة لما قبلها

(١) هو يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة بن أبي صفرة بصري وشاعر محسن. ينظر: الاندلسي، المصدر السابق، ص١٠٣.

(٢) ينظر: الاندلسي، المصدر السابق، ص١٠٣، ١٠٤. وينظر: القفطي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) الاندلسي، المصدر السابق، ص١٠٣.

(٤) ينظر: الأنصاري، أوضح المسالك، ج١، ص٢٩٢.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

يلزم أنْ تكون بهمزة مكسورة، وفيه قال باختيار القراءة التي صرّح بها للفتح فضلاً عن تأويلها معنىً ما بين المستأنف وسياق الآية الذي يتمّ به بالكلام عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ بحسب ما ذهب إليه المبرّد الذي قدر ما بعد تمام، قائلاً: (ثُمَّ قال تبارك وتعالى: يا محمد...) مضافاً إلى أنّها قد وقعتْ متمّمة لما ورد من القسم في الآية الكريمة وهو (أقسموا) فتكسر لذلك أيضاً، ولي على هذه المحاورة تساؤل يتوجّه إلى الكشف عن سبب إجابته بجوابين يحملان القارئ على التوهم أنّ له في المسألة رأيين فقد أجاب الفتح بما هو المختار (الكسر)، وأجاب الخليفة بما كان يرغب في سماعه أو لنقل: أجابه بما كان يريد دون غيره، فكأنّه قصد التقرّب في هذا إلى المتوكّل، وهو ما أثار الفتح فأرسل رسله في طلب المبرد بعد ذلك، فروى لنا أبو العباس ما دار بينهما قائلا: (... وأُخرِجتُ فلم أصل إلى الموضع الذي كُنتُ أُنزِلتُه حتّى أتتني رُسُل الفتح، فأتيتُه، فقال لي: يا بصريّ أول ما ابتدأتَنا به الكذب، فقلتُ: ما كَذبتُ، فقال: كيف وقد قلتَ لأمير المؤمنينَ: إنّ الصّوابَ ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالفتح؟ فقلتُ: أيّها الوزيرُ لم أقل هكذا، وإنّما تخلّصتُ من اللائمة، وهو أميرُ المؤمنين، قال: أحسنتَ. قال أبو العبّاس: فما رأيتُ أكرمَ كرماً و لا أرطبَ بالخير لساناً من الفتح)[1]، ويرجّح عندي ما دار بينه وبين الفتح من حوار أنْ يكون قد تقرّب إلى الاثنين الخليفة ووزيره، فكسب بذلك رضاهما وقربه منهما، وكذلك قد كسب نوالهما وعطاياهما، وإلّا ما الذي يدعوه إلى إجابة كل واحد منهما بما يريد سماعه، ويؤكّد رأيي ويقويه ما ذُكِرَ عمّا دار بين أبي العباس وبين أحمد بن حرب صاحب الطيلسان[2] الذي روى ما وقع بين المتوكل والفتح، و أبان له عن رأيهما له، ومن هنا أفاد أبو العبّاس من عرض موقفه والاكتفاء بما قال واحد منهما حتى ينال الرضا والحظوة عندهما، فزاد بذلك قربه من الخليفة ومصدر الحكم في سامراء، وأعتقد أنّ لشهرته أثراً فيها، ولعلّ هذا ما دفع الدكتورة خديجة الحديثيّ إلى أنْ ترى أنّ شيوع آرائه ومواقفه، وسيرته وأخباره زادتْ وضوحاً بعد رحلته إلى سامراء[3]،

---

(١) الاندلسي، المصدر السابق، ص١٠٣.

(٢) هو أحمد بن حرب المهلبي أهدى الشاعر الحمدوني طيلساناً أخضر، فلم يرتضه وهو ذو صلة وثيقة بالمبرد. ينظر: القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ج١، ص ٢٣٤ وما بعدها.

(٣) ينظر: الحديثي، خديجة، المبّرد سيرته

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

وقد انعكس قربه من البلاط في سامراء على كل مناظراته التي خاضها في حضرة المتوكّل، وزاد بذلك نواله والعطايا التي حصل عليها، غير أنّ هذا لا يعني أنّ يكون كلّ مناظراته واحتجاجه على خصومه تقرباً، وتزلّفاً من الخليفة فقد اتّسمت مناظراته بالجدة والعلمية، والاحتكام إلى الدّليل القاطع وهذه السّمّة من سيادته ورياسته النحو في البصرة، ويبدو أنّ أبا العباس المبرد ظلّ دائم الحضور إلى سامراء مدة حياة المتوكّل[١]، وما زال كذلك حتى استدعي إلى بغداد فسامراء كثيراً فصار بحضوره منافساً للنحو الكوفيّ الذي كان ماثلاً في شيخ النحو الكوفي أبي العبّاس ثعلب (ت ٢٩١ هـ)، و قد روي أنّه كان شديد التعصّب لمذهبه الكوفيّ[٢]، وهو شديد التّربُّص بمن يقدم من أهل النظر فيعمد إلى إبراز تلامذته لمناظرتهم، وقد كان قوم خراسانيّون يفدون أيام خلافة الواثق، والمتوكل على بغداد وحواليها، ويتخللون الجوامع فإذا ظفر بهم ثعلب بعث لهم أحد تلامذته فيناظرهم، فإذا انقطعت حجّتهم انفضّ اجتماع الناس وتحلّقهم حواليهم[٣]، وكان هذا دأب ثعلب وديدنه.

ومن خلال ما تقدّم تبيّن أنّ الواثق بالله والمتوكل على الله، كانا إذا أشكلتْ عليهم مسألة نحوية واعتاصَ جوابُها استقدما عليهم أحد النّحويين كما مرّ بنا، ويرجح أنّ الخلفاء في سامراء كانوا أكثر ميلاً إلى النّحو الكوفيّ، فبرز ابن السِّكِّيت مؤدّباً لبعض أولادهم، وذاع صيتُ ثعلب في أيامهم[٤] إلى أنْ قدم عليهم المبرد الذي صار قريباً جداً أيام المتوكّل، فبدأ الإعجاب ينتقل، أو لنقل: إنّ عنايتهم واهتماماتهم توجّهت صوب المذهب البصري الذي مثّله المبرّد، الذي برع وبتفوق في الاحتجاج والمناظرة، مع كونه بارعاً في النّحو وعلوم اللغة الأخرى، وهذا ما دفع المتوكّل ووزيره الفتح، ومحمد بن عبد بن طاهر الذي وَلِيَ أمر بغداد وما حولها أيام المتوكّل[٥]، وقد كان يقرب نحاة الكوفي وينزلهم منزلة رفيعة كما

ومؤلفاته، ص٣٢.

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٢) ينظر: محمود، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٣) ينظر: الاندلسي، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٤) ينظر: محمود، المصدر السابق، ص٩٨.

(٥) هو أبو العبّاس محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي، أمير، حازم، وأديب فاضل وجواد (ت٢٥٣هـ). ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٢.

اعتادوا ذلك في سامراء، وممّا يُسجّل هنا أنّ ثعلباً وتلامذته كانوا قد أشاعوا بين الناس الاحتجاج والتناظر، ويبدو أنّ ذلك راجع إلى حرصهم على مكانتهم التي توصّلوا إليها، وحرصهم على عدم الحياد عنها، ولعلّ هذا هو المحرّك والدّافع الرئيس لمحافظة ثعلب على ما وصلوه من مكانة، وذهب الدكتور محمود حسني إلى أنّ الكوفيين يتصدّرهم ثعلب كانت غايتهم في أكثر مناظراتهم للمحافظة على المصالح المادية لا أكثر[١]، وعلى كلّ حال فقد التقى رأسا المدرستين المبرد وثعلب ودار بينهما نقاش، وطال التناظر بينهما في غير موضع وفي غير وقتٍ، بل تعدى الأمر ذلك فوصل إلى أنْ تناظرا في حضرة أبي العباس محمد عبد الله الخزاعي، وكان الخزاعيّ على حَدٍّ وصف المبرّد رجلاً لا يقبل من العلوم إلّا حقائقها[٢]، وامتلأت كتب الطبقات والمجالس بكثير من مناظراتهما ومناظرات تلامذة أبي العبّاس ثعلب مع المبرد، وكانت الغلبة في أكثرها للمبرد البصريّ الذي كان له السبق عند الخلفاء، وولاتهم ووزرائهم؛ ومن أمثلة تلك المناظرات وشواهدها في مسائل النحو المختلفة مناظرته التي ناظر فيها الزجاج وعلى إثرها ترك المذهب الكوفي والتحق بأبي العبّاس المبرّد[٣]، وأترك أمر إحصاء المناظرات الكثيرة التي كان من نتائجها غلبة المبرّد، وإفحامه خصومه حتى صار بذلك مقدماً في الدولة وعند الخلفاء، والوزراء، والأكابر[٤]، وإنّما صار كذلك لسعة علمه وبراعته في تقليب المسألة على وجوهها، وما زال المبرّد يتصل بين البصرة وسامراء حتى قتل المتوكّل، فارتحل منها[٥]، ويدلنا هذا على صلته بمجلس الخلافة في سامراء، وقرب منزلته من خلفائها، وبعد ما عرضتُ من احتجاجات ومناظرات خاضها المبرد في سامراء وما حولها، وفي مجالس الخلفاء أقول إنّي لا يمكنني الإحاطة بكلِّ شاردة وواردة تخصّ مناظراته ومناظرات غيره من النحويين الذين تسلّحوا بعلمهم ليثبتوا صحة ادعاء أو يرفضوه مستدلين ومحتجّين لأقوالهم وآرائهم بالأدلة والبراهين، ويكفي هنا أنّي وقفتُ على أكثر المناظرات شهرة في سامراء، وأترك ما لم أستطع الإحاطة به منها، وأغفلتُ كذلك

(١) ينظر: محمود، المصدر السابق، ص٩٩.

(٢) ينظر: الزجاجي، المصدر السابق (المجلس ٥٥)، ص ١١٩.

(٣) القفطي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٥٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤٩.

ما لم يكن شائعاً؛ لذلك أعتذر عن إحصاء كلّ تلك المناظرات.

الخاتمة

في نهاية مطاف هذا البحث أجمل أهم النتائج التي توصلتُ إليها، وهي :

٥. كانت مدينة سامراء موئلاً للعلوم، ولاسيّما في علم النحو والمشتغلين فيه إذ كان خلفاؤها يطلبون حضور علماء النحو لحل المُشكل والمستعصي من مسائل النّحو واللغة، وهذا ما حصل مع المازنيّ، والمبرد وغيرهم كُثُر، فصارت لهم بذلك المكانة والشأن الكبير والحظوة في سامراء.

٦. تنوعت حالات الانتفاع من حضور النّحويين عند الخلفاء، أو وزرائهم فنجد من ذلك البحث عن جواب لمسألة نحويّة، أو مناظرة واحتجاج نحوي، فزاد لذلك طلب النّحو والنّحويين علاوة على أنّ الأجواء في سامراء قد ساعدت في نشر هذه السّمة.

٧. تقدّم أنّ للخلفاء أثراً واضحاً في تحريك عجلة المناظرة والاحتجاج النّحوي، وكان أبينُ صوره حاضرةً في أنّ ابتداء تلك المناظرات صدر عن أسئلة الخلفاء؛ إذ كانوا في الغالب يعمدون إلى تهيئة سؤال يعرضونه ليتبارى بعد ذلك النُّحاة للغلبة والظفر على خصومهم.

٨. كان الخلفاء، أو وزراؤهم في سامراء يجزلون العطايا ويثيبون مَن يظفر على خصمه الذي ناظره، أو احتجّ عليه، ويقربونه إليهم وكان هذا حافزاً آخر جعل حركة التناظر بين النحويين تشتد، وعملتْ على تقوية حججهم وأدلتهم.

٩. وُجِدَ في بعض المناظرات أنّ المُناظِر من أجل الانتصار لرأيه، وتحقيق الغلبة على خصمه يعمد إلى مبادرته بكثرة الأسئلة حتى يغلبه، وهو ما اتبعه المازنيُّ في بعض مناظراته.

١٠. لم أجد أثناء البحث ما يخُلّ بآداب الحوار، والمناظرة كالتهكم، والاستهزاء، فلم أجد مناظرةً من المناظرات قد وضعتْ مثلاً لإبعاد نحويّ من ساحة الدرس النّحويّ، أو قُل من أجلِ إقصائه، وكان من بعض نتائج تلك المناظرات تقريب نحويّ أو مذهب نحويّ أكثر من سواه كما حصل من تقريب نحويّيّ البصرة، ومنهم المازنيّ والمبرّد في عهدي الواثق والمتوكّل.

مجلة تراث سامراء
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.

٢) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧ م.

٣) ابن النديم، لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، (د. ط. دار نشر. ت).

٤) ابن منظور، للإمام العلّامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٥) أبو زيد، نصر حامد، الاتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة)، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦ م.

٦) الأزهري، لأبي منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون و محمد علي النجار وآخرون، (د. ناشر)، (د. ت).

٧) إكرام، أولاد ضياف، مجالس المناظرة في العصر العباسي الأول ـ المناظرات الدينية أنموذجاً ـ ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ٢٨ ماي ١٩٥٤ تالمة، ٢٠١٦ ـ ٢٠١٧م.

٨) الأنباري النّحويّ، الشيخ الإمام كمال الدّين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريين و الكوفيين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (د. معلومات نشر)، ١٩٨٢م.

٩) الأنباريّ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق د.إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، عمّان، (د. ت).

١٠) الأندلسيّ، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيديّ، طبقات النّحويين واللّغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٨٤م.

١١) الأنصاريّ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، دار ذوي القربى، قم، ١٤٣٢ هـ.

١٢) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمه الدكتور عبد الحليم النجار، ط ٤، دار المعارف، مصر، (د.ت).

مجلة تراث السلام
العدد: الثاني
السنة: الأولى
١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

١٣) البغداديّ، الإمام الحافظ بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، تاريخ بغداد (تاريخ مدينة دار السّلام)، تحقيق بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.

١٤) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٤، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٧ م.

١٥) بن جني، لأبي الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

١٦) بن سيده، علي بن إسماعيل، المحكم ومحيط اللغة الأعظم، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، ط١، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

١٧) بو ملحم، علي، إحصاء العلوم أبو نصر الفارابي، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٩٦ م.

١٨) التبريزيّ، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، قدّم له راجي الأسمر، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م.

١٩) الحديثيّ، خديجة، المبرّد سيرته ومؤلفاته، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، وآفاق عربية، بغداد، ١٩٩٠م .

٢٠) الحريريّ، القاسم بن علي بن محمد، دُرّة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي علي، دار الجيل، بيروت، ومكتبة التراث الإسلامي، (د. ت).

٢١) الحسناوي، أحمد رحيم جبر، المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية، ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، (د. ت).

٢٢) الحسيني الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ

٢٣) الحموي، الشهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.

٢٤) ديوان محمد بن عبد الملك الزيات، تحقيق د. يحيى الجبوريّ، ط ١، دار البشير،

عمّان ـ الأردن، ٢٠٠٢ م.

٢٥) الزبيدي، السيد مرتضىٰ الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار التراث العربي، الكويت.

٢٦) الزّجّاجيّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط ٣، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩م.

٢٧) الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنّساء من العرب و المستعربين و المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٢٨) الزمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٢٩) سيد طنطاوي، محمد، أدب الحوار في الإسلام، ط١، دار نهضة مصر،١٩٩٧م.

٣٠) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في العربية،، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣١) السيوطيّ، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو،، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٥ م.

٣٢) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العباسي (العصر العباسي الأول)، ط٨، دار المعارف، مصر، (د.ت).

٣٣) الطبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، (د. ت).

٣٤) عبد الباقي، أحمد، سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.

٣٥) العبيديّ، رشيد عبد الرحمن، أبو عثمان المازنيّ ومذاهبه في الصّرف والنّحو، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م.

٣٦) القفطيّ، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة علىٰ أنباه النّحاة، تأليف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢ م.

٣٧) القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن

علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، شرح علي محمد البجّاوي، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

٣٨) الكاتب، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

٣٩) كريم، جعفر طالب، أثر علم الكلام في الدراسات اللغوية إلى نهاية القرن الخامس الهجري - دراسة موازنة -، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٥م.

٤٠) الكنديّ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٢، دار الفكر العربي ومكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ت).

٤١) مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.

٤٢) محمود، محمود حسني، المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، ودار عمّار، (د. ت).

٤٣) المسعوديّ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٤٤) نرجس، قميني، سومية، بورقبة، فن المناظرات في مجالس الخلفاء العباسيين ـ العصر العباسي الأول ـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، ٢٠١٧ ـ ٢٠١٨ م.

٤٥) وهيبة، مُسعد، آليات الحجاج في المناظرات النّحوية (السيرافي ومتّي أنموجاً)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي، الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٤ ـ ٢٠١٥.

٤٦) اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد، إشارة التعيين في تراجم النّحاة واللغويين، تحقيق عبد المجيد دياب، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.